تواصل (المدى) نشر هذا الكتاب الذي يقدم صورة عن ذكريات وانطباعات وآراء بول بريمر حول فترة عمله في العراق وتهدف (المدى) عبر ترجمتها ونشرها الكتاب إلى إتاحة الفرصة لقرائها للاطلاع ، كما تتيح المجال للباحثين والمحللين وسواهم من المعنيين لمراجعة مادة الكتاب فكرياً ونقدياً.. وبهذا تؤكد (المدى) ان جميع الآراء والمعلومات التي يقدمها بريمر هنا هي تعبير عن وجهة نظره الشخصية التي لا تلتقي مع وجهة نظر (المدى) التي واكبت فترة حكم بريمر وما بعدها بالنقد الصريح المعروف عن الجريدة وعن سياستها الواضحة في هذا المجال.

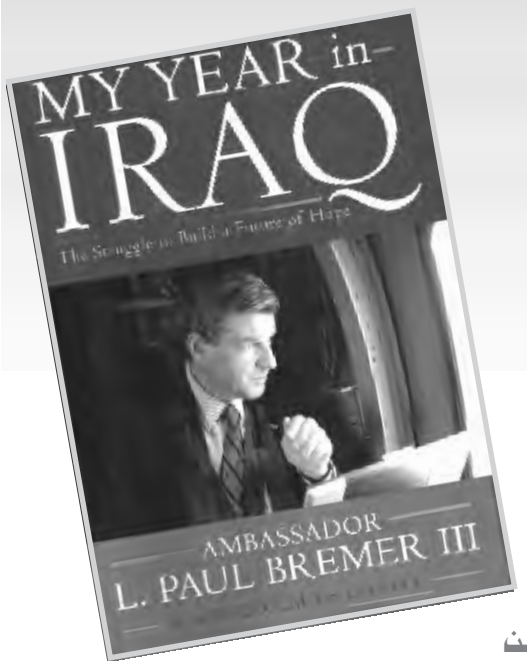

كتاب بول بريمر الصادر حديثاً حول تجربة عمله في العراق

سنتي في العراق

الصراع لبناء مستقبل من أمل

تأليف/ بول بريمر
ترجمة /د. عابد اسماعيل

(الحلقة التاسعة)

لقد نشر التحالف لتوّه قائمتَه الشهيرة من أوراق اللعب التي تحمل أسماء وصور خمسة وخمسين مطلوباً من قادة حزب البعث ، بدءاً من صدام حسين ، وابنيه ، وكبار قادته. غير أن هؤلاء الخمسة والخمسين كانوا يمثّلون جزءاً صغيراً من البعثيين الذين كان يتوجب إزاحتهم من الحياة العامة. وقد ساند المرسومُ هذا الجهدَ عبر تقديم مكافات لمن يدلي بمعلومات تؤدي إلى القبض على كبار أعضاء حزب البعث "والأفراد المتواطئين في جرائم النظام السابق"- والذين كانوا ، في أحوال كثيرة ، هم الأشخاص أنفسهم.

إضافة إلى ذلك، وضّح المرسوم بأنّ الطبقات الثلاث العليا للإدارة في كل وزارة وطنية حكومية، أو شركة تابعة لها، وغيرها من المؤسسات الحكومية، بما في ذلك الجامعات، والمعاهد، والمستشفيات، سيتمّ النظر في وضعها، والتأكد من مدى ارتباطها بحزب البعث. وإذا تبيّن أن أحداً من هؤلاء المدراء كان "عضواً تاماً" في الحزب، سيتم عزله من منصبه الحكومي، بالرغم من أنه سيمتلك الحرية للعمل في مكان آخر.

"هذا الجزء من المرسوم سوف يزعج بعضاً من كبار مستشاري وزارتنا،" قالت ميغان. لقد مضى على هؤلاء المستشارين قرابة الشهر وهم يعملون مع مدراء في وزاراتهم، وسيتم، على الأرجح، منع بعض منهم، من ممارسة عمله، ما إن أوقع هذا الأمر.

وكان المرسوم يحظر أيضاً عرض "صور صدام حسين" أو غيره من أعضاء الحزب المعروفين من النظام السابق، على الملأ. بهذا المعنى، كانت عملية اجتثاث البعث تشبه إلى حد كبير عملية حلّ النازية في ألمانيا ما بعد الحرب، التي منعت صور هتلر وشارة حزبه، كذلك فعلت مراسيم مكارثي في اليابان المحتلة، التي نزعت كلّ شعارات النظام العسكري.

"الفقرة الأخيرة غاية في الأهمية،" قال رايان.

قرأتُها بصوت عال. "إن مدير سلطة التحالف المؤقتة أو أياً من موظفيه المعينين، يمكن أن يمنح استثناءات، للتوجيه السابق، تبعاً لكل حالة على حدة."

بكلمات أخرى، كنا نمتلك بعض المرونة في تقييم ما إذا كان الأفراد البعثيون قد انضموا إلى الحزب من أجل ممارسة مهنهم فحسب.

رفعت ميغان بصرها عن دفتر ملاحظاتها. "مستشارو وزارة التربية سوف يجرون تقييماً لبعض البعثيين في الجامعة هناك،" قالت.

وكما كان متوقعاً، ولأنّ أعضاء حزب البعث كانوا قد قدّموا أفضل قائمة منظمة من المرشّحين، فازت بطاقتهم بالانتخابات في جامعة بغداد. ولكن، كان ضرورياً السماح لهذه الانتخابات بأن تجري بحيث يتاح للفصل الدراسي بأن ينتهي في الوقت المقرر.

حين يأخذ المرسوم مفعوله، قلتُ شارحاً، يمكننا عندئذ أن "نفرز الماعز عن الغنم." وكان علينا أن نتحرك بسرعة، لكي لا نخلق انطباعاً بأن قوات التحالف قد أطاحت بصدام حسين، فقط من أجل أن تسلّمَ السلطة إلى الصف التالي من البعثيين.

وبالرغم من أنّ المرسوم سوف يمنع فقط نسبة واحد بالمئة من أعضاء حزب البعث من ممارسة الخدمة العامة، كنتُ أريد أن أتأكد بأننا نركزّ على الناس الصحيحين. واتفق الجميع على أنّ هذا صعب جداً، إذا أخذنا بعين الاعتبار الحالة المؤسفة لمخابراتنا.

"لا نعرف العراق جيداً كما يعرفها العراقيون أنفسهم،" قلتُ. وبالتالي علينا التعامل مع عراقيين لديهم حس بالمسؤولية، منذ البداية، في عملية اجتثاث البعث وحلّه. علاوة على ذلك، علينا أن نعترف بأن مرسومنا ليس نهائياً، ويحوي هامشاً من المرونة.

كانت لدي قضية سياسية أخرى هامّة للمناقشة.

"قابلتُ لجنةَ المدراء في مجلس الأمن القومي الأسبوع الماضي،" قلتُ. "كان الطاقم برمّته موجوداً في غرفة الاجتماعات في البيت الأبيض ...باول، رامسفيلد، كوندي رايس، جورج تينت. وضمّ جدول أعمالها المنفيين والحكومة العراقية الجديدة."

كان "المنفيون"، يشكّلون مجلس القيادة العراقي (ILC)، حيث انتُخبوا خلال مؤتمر ضم بضع مئات من العراقيين، عُقد في لندن، في كانون الاول ٢٠٠٢، والذي كان بدوره نتاجاً لقانون تحرير العراق الذي كان قد وقّعه الرئيس بيل كلينتون عام ١٩٩٨, هذا القانون تُرجم إلى سياسة أمريكية في مساعدة الجهود الهادفة إلى "إزالة النظام الذي يرأسه صدام حسين."

هؤلاء المنفيون هم من المنشقين الذين يعيشون في الخارج، والذين عارضوا نظام صدام حسين على مدى سنوات، وتلقوا أنواعاً مختلفة من الدعم من الغرب، ومن دول عربية معتدلة، غالباً عبر أجهزة المخابرات. وبدا لي أنّ مكتب فيث، وجهاز المخابرات المركزية الأمريكية (CIA)، ومكتب إعادة الإعمار والمساعدة الإنسانية (ORHA)، كانوا جميعاً على اتصال غير منتظم مع المنفيين، ومنذ عدة أشهر. كنا نحتاج لوضوح في الرؤية بخصوص نوايانا في تأسيس حكومة عراقية.

عشتُ في ثلاث دول كان قد احتلها الألمان خلال الحرب العالمية الثانية، وأعرف أنّ "الحكومات في المنفى" تكون موضع شبهة في عيون الذين بقوا في الداخل. والتركيز بشكل حصري على مجلس القيادة العراقي كنواة وحيدة للحكومة العراقية الجديدة كان يمكن أن يخلق مخاوف مشابهة لدى العراقيين العاديين الذين بقوا، وعانوا من بطش صدام.

أضف إلى ذلك، أنّ مجلس القيادة العراقي كان يفتقر لتوازن مناسب بين السنة والشيعة، وتميل كفّته بوضوح باتجاه الأكراد، و لا يضم مسيحيين أو تركماناً، أو نساء.

حين وصلتُ بغداد في يوم الاثنين، علمتُ أن غارنر كان قد نسّق موعداً لي لترؤس اجتماع مع أعضاء مجلس القيادة العراقي، في اليوم التالي مباشرة. لكنني أجّلتُ ذلك الاجتماع لأنني أردت أن أفرد وقتاً للتشاور مع مستشاري السياسيين قبل الخوض في مناقشات حساسة حول خططنا المتعلقة بحكومة انتقالية. كما أنني أردتُ أن أبعث برسالة إلى الشخصيات السياسية العراقية بأنني لستُ مستعجلاً لرؤيتهم. وأخيراً، أردتُ أن أوضح للجميع بأنني أنا، وليس جي، من يتولى المسؤولية الآن.

بالرغم من الحرارة الشديدة، كان الجميع في مكتبي يصغون بانتباه كبير. "دعوني أقرأ بعض ما يقوله مدراء لجنة الأمن القومي بخصوص الحكومة العراقية الجديدة."

"أولاً، النقطة الأهم هي أنّ الرئيس يصر على أنه طالما أنّ الحكومة العراقية الانتقالية هي التي ستكتب الدستور الجديد، وتضع القانون، وتشرف على الإصلاحات الاقتصادية في العراق، فإنّ هذا الجسم الحاكم يجب أن يكون ممثلاً بالكامل لكلّ العراقيين، شمالاً وجنوباً، سنّة وشيعة، أكراداً وتركماناً، ومسيحيين. وهذا لن يحدث بين ليلة وضحاها، بالرغم مما يأمل القادة المنفيون أو حتى يؤمنون به. هذا ما قاله كولن باول: إن توجيهات الرئيس تقضي بأن نأخذ كامل وقتنا في إنشاء إدارة عراقية انتقالية بحيث نحصل على مجموعة ممثلة. وهنا أيضاً وجهة نظر كولين الشخصية: يجب أن نركّز على شروط العملية السياسية، وخاصّةً الأمن. يجب علينا أن نسمح للقيادات العراقية بالظهور."

"هل يمتلك مدراء لجنة الأمن القومي فهماً جيداً للواقع السياسي، هنا على الأرض؟" سأل رومان.

"هذا ما يقوله نائب الرئيس،" قلتُ، ورحتُ أقرأ من ملاحظاتي: "لسنا في مرحلة الآن تسمحُ للقادة العراقيين، أصحاب التمثيل الواسع، بالظهور. انتقالية تملك تمثيلاً عريضاً لجميع أطياف الشعب العراقي.

باختصار، كنا نبحث عن تحكم أكبر في خلق حكومة انتقالية مما أراده لنا مجلس القيادة العراقي. وما زاد الأمور تعقيداً حقيقة أنه خلال اجتماعه الأخير مع المجلس قبل أسبوعين، كان "المبعوث الرئاسي"، عندئذ، زالماي خليل زاد، قد تركهم وقد تملكهم انطباع بأننا سوف ننقل السلطة إليهم في منتصف أيار. هذا البيان يتطابق بوضوح مع سيناريو"النقل المبكر" للسلطة الذي كان البنتاغون يدفع باتجاهه. غير أنّ التوجيهات الصادرة عن اجتماع لجنة المدراء قد توقعت أن تستغرق الأمور شهوراً، في أحسن تقدير.

وهكذا، كان الذهاب إلى اجتماع يوم الجمعة، بعد الظهر، سيتركني في موقف ملتبس، يترتب علي من جهة أن أؤكّد بأننا نريد أن نبني على "التقدم" الذي أنجزناه حتى الآن مع مجلس القيادة العراقي، في الوقت الذي سننأى به عما وعدهم فيه خليل زاد.

إنهم ما يزالون خائفين جداً. نحتاج إلى استراتيجية على الأرض تدرس الوضع الحقيقي لما بعد الحرب، وليس الوضع الذي نرغبُ بأن يكون قائماً." ثم أضفتُ: "هذا لا يعني مباركة مفتوحة للمنفيين."

ورحتُ أقلب صفحات ملاحظاتي. "حسنٌ، وباختصار، فإن مدراء لجنة الأمن القومي يوافقون على أننا نحتاج للوقت، ونحتاج لتوازن أكبر مما نجده في هذه المجموعة الصغيرة من المنفيين، ممن تعاملنا معهم حتى الآن."

"متى تريد أن تبثّ الأخبار لهم، يا جري؟" سأل رايان.

"غداً بعد الظهر،" قلتُ. "في الصباح، سأكون شرطياً جيداً حين أوقّع أمر حلّ البعث. عندئذ، وخلال اجتماع الساعة الخامسة مع حشد القادة، سأجعلهم يعرفون بأننا لسنا على وشك تسليم المفاتيح إلى المملكة."

بشكل طبيعي، أراد المنفيون أن يكرسوا أنفسهم سريعاً كحكومة، قبل أن تسنح الفرصة للقادة السياسيين المحليين بتنظيم أنفسهم. ناهيك أنهم أدركوا أيضاً أن نفوذهم في لندن، وواشنطن، وطهران، والرياض، سوف يتقلّص إذا لم تكن لهم قوة سياسية على الأرض في العراق. وتبعاً لتوجيهات الرئيس، أرادت سلطة التحالف المؤقتة أن تتأكّد بأننا نضع حكومة

*** كانت عملية اجتثاث البعث تشبه الى حد كبير عملية حل النازية في المانيا التي منعت صور هتلر وشارة حزبه ، كذلك فعلت مراسيم مكارثي في اليابان التي نزعت كل شعارات النظام العسكري.**

*** لسنا في مرحلة الآن تسمح للقادة العراقيين اصحاب التمثيل الواسع بالظهور ، انهم لايزالون خائفين جداً.**

زلماي خليلزادة

كولن باول

بول بريمر

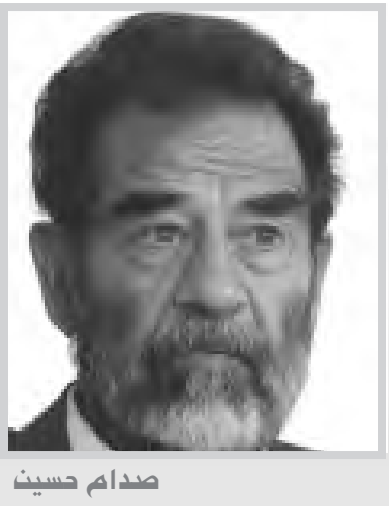
صدام حسين

يتبع